الفصل الخامس

ذكريات الزمن الجميل

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الخامس

ذكريات الزمن الجميل

"الزمان اختلف

فالبريء انتهى واللبيب احترف

...

الخيول التى كان وقع حوافرها

يصنع الحلم تسقط فى المنعطف

والحمام الذى كان يهدل فوق غصون الطفولة

أصبح لا يأتلف

....

آن أن نعترف

الزمان اختلف"[1]

ينحو الكبار إلى تمجيد ذكريات الماضي، والحديث دائمًا عن الأيام الحلوة، والزمن الجميل، العصر الذي ساد فيه الحب والتضامن بين الناس. مع ذلك فإنه ليس من المبالغة أن السنوات الذهبية لكلية الاقتصاد قد مثلت حالة نادرة من الوئام بين هيئة التدريس والطلبة فى عصر كان مليئا بالتحديات والعواصف، ولكن أيضًا كان يملؤه الأمل والرغبة فى التغيير.

وتساعدنا الآراء التى تم تجميعها عن طريق الاستبيان الذى أرسل للخريجين والحوارات الشخصية معهم، على تأكيد الطبيعة الخاصة للمناخ العلمي والاجتماعي فى الكلية فى الستينيات؛ فإلى جانب ما هو واضح من اهتمام الأساتذة بالطلبة ومسيرتهم

(١) قصيدة "مرايا الزمن" للشاعر الكبير، محمد إبراهيم أبو سنة، من ديوان "البحر موعدنا." تنشر بإذنه.

العلمية، وتدخلهم في إيجاد وظائف وتصحيح المسار العلمي لهم.. كان هناك تضافر بين الطلبة وشيوع مناخ أسري يلف الجميع.

ويبرر البعض هذا الشعور بالألفة والتضامن إلى أن الحياة كانت أسهل، والحصول على الوظائف أكثر يسرًا.. كذلك كانت مصر تعيش في مناخ عام من التضامن الاجتماعي والرغبة في تحقيق مجتمع "الكفاية والعدل!" ويرجع البعض الآخر ذلك إلى طبيعة المجتمع المصري التي تؤكد الترابط والأخوة. ولا يملك المرء إلا أن ينعي تلك الصفات الحميدة فى المجتمع المصرى التى سادت قبل عصر الانفجار الاستهلاكي، وطغيان القيم المادية على الحياة، بالإضافة إلى ما أصاب الحياة الجامعية من عطب، وسيادة التنافس البغيض، والأسرة فى التعامل، وإهمال القيم الأبوية. التى هى جزء لا يتجزأ من العملية التعليمية.

وهناك أمثلة كثيرة لتلك الروح الطيبة التى سادت بين طلبة الكلية، والتى تظهر من خلال شهادات الخريجين. وإليكم بعض الأمثلة:

- كان من المعتاد أن يشارك الخريجون في وداع زملائهم المسافرين إلى الخارج. ويذكر كاتب هذه السطور ذهابه في الصباح الباكر لوداع زميل ابتعث إلى الخارج. وكان هناك ما يزيد على العشرين من المودعين. وكانت إجراءات المطار أكثر تساهلاً في ذلك الوقت. وكان يمكن للمودعين متابعة إجراءات السفر من شرفة تطل على المنطقة الجمركية. ولقد دهش، مع غيره، أن يلاحظوا أن المبعوث الذي يشتهر بفكره الاشتراكي كان متمسكًا بأخذ حصيرة صلاة ربطها بعناية حول حقيبة السفر! وتذكر د. ثناء الجيار قصة مشابهة؛ حيث ذهب ما يقرب من ٤٥ لوداع زميلة مسافرة للحاق بعريسها في الخارج. وكان هذا الوداع بمثابة "زفاف" في وقت انتشر فيه الزواج بالمراسلة.
- كذلك يذكر زميل آخر التضامن المادي بين الخريجين، فهذا الزميل الذي وجد فرصة عمل في الكويت يساعد آخرين في الحصول على فرص عمل.

- يذكر الأستاذ عادل جاب الله كيف اقترض من كل زملائه من الكلية ومن مدرسة التوفيقية الثانوية حتي يدبر تذكرة الطائرة إلى موطنه الجديد أستراليا فى مايو عام ١٩٦٧. وبالفعل دبر ثمن التذكرة، و كان مبلغًا خياليًا يساوي مرتب أشهر طويلة للخريج الجديد.

ويذكر كاتب هذه السطور كيف أنه اعتمد على شبكة ممتدة من الأصدقاء في الخارج لتدبير مصاريف سفره إلى أمريكا بعدما تقطعت به السبل في أوربا وهو ينتظر إتمام إجراءات موافقة البعثات على قبول المنحة الدراسية التي حصل عليها من جامعة إيوا. ولم يكن تحويل العملة من مصر سهلاً في ذلك الوقت بسبب إجراءات الرقابة على النقد، وكان يجب على المبعوث أن يحصل على موافقة البعثات حتى تضاف الولايات المتحدة إلى جواز السفر.

وبالمقابل؛ كان عليه أن يمد يد المساعدة إلى آخرين، وأن يرسل كتبًا واشتراكات في دوريات علمية إلى زملائه، الذين لم يسعدهم الحظ بالسفر.

البنات:

تنبأ الدكتور/ محمد زكي شافعي مبكرًا بأن نسبة البنات سوف تزداد بمرور الزمن. وقال ضاحكًا إنه بعد عدة سنوات (من ١٩٦٣) سوف تمتلئ الكلية بالمرايات والستائر المخملية! فالكلية كانت تمثل مرفئًا مناسبًا للمتفوقات من أقسام الأدبي والعلمي اللاتي لا يرغبن في دراسة العلوم والهندسة، أو التاريخ والآداب. وكذلك فإن وظائف الكلية (قبل إنشاء كلية الإعلام) كانت تضمن مستقبلاً باهرًا في مجال الصحافة والإعلام والدبلوماسية. وهو ما تحقق بالفعل.

وكانت تجربة دخول هذه النسبة العالية من البنات النابغات إلى الكلية ملفتة لنا نحن الذكور، وخصوصًا من جاء منا من مدارس الأرياف أو من لم يعتد الاختلاط من قبل. وبالطبع تكون حزب "مراقبة" البنات الحلوات في ملاعب التنس، والأنشطة الاجتماعية.

ويمكن تقسيم طالبات الكلية فى ذلك العصر إلى ثلاث فئات: **الأولى** المنطلقات ذوات الصوت العالي والثقة العالية بالنفس اللائي جئن من المدارس الأجنبية والأحياء الفخمة في الزمالك ومصر الجديدة، وكن يعشن في عالم ساحر من الملابس الفخمة والعطور والرحلات المكلفة ونوادي الصفوة.

والنوع الثاني: البنات "الشاطرات" أوائل الشهادة الثانوية، والأكثر جدية من المدارس الأجنبية مثل المدرسة الألمانية اللائي كن يحاصرن الأساتذة بأسئلتهن، ولم يكن لديهن مانع من الحديث إلى زملائهن الرجال المساكين من متوسطي الحالي، إذا كان الله قد وهبهم بالتفوق العلمي أو الرياضي. أما **النوع الثالث** فهن السادرات الخادرات من بنات المدارس الحكومية الذين وجدن نفسهن فجأة في محيط مختلط ويتعثرن في خطواتهن، وبعضهن مازلن يحافظن على سلوكيات الثانوي، ونموذجهن الأول في الحياة هو الفنانة "ماجدة" في فيلم المراهقات. وينتظرن ابن الحلال الذي يأتي على حصان أبيض. وهـــن لا يكلمن أحد سوى أمثالهن من بنات الناس.

ولقد نتج عن هذه التجربة الاجتماعية في النهاية نتائج باهرة فبعد السنوات الأولى أصبح معظم الأوائل من الآنسات، وفيما بعد أصبح غالبية هيئة التدريس من السيدات. كذلك حدثت نسبة عالية من الزيجات المشتركة. وأخيرًا بدأت الكلية تدفع إلى الأمام مجموعة نابهة من السيدات في أول صفوف العمل الاقتصادي والدبلوماسي.

بعض أمثلة:

١- **د. كريمة كريم**: (ق ١٩٦٥) بنت "بني سويف" والحاصلة على الدكتوراه من كندا، التي وصلت إلى رئاسة قسم الاقتصاد في كلية التجارة (بنات) جامعة الأزهر. وأصبحت من الخبراء الدوليين الذين يشار إليهم بالبنان في موضوعات الفقر والتنمية الاقتصادية. وللدكتورة كريمة تجربة كفاح لم تكن متوقعة من بنت عضو مجلس الشيوخ السابق، حيث لحقت بزوجها (المعيد جوده عبد الخالق) فى جامعة بريتش كولمبيا فى كندا، وعاش الاثنان ودرسا على منحة دراسية لشخص واحد،

وسرعان ما انتهت منحة الماجستير وكان عليهما أن يدبرا أمورهما ويقبلا وظائف دون المستوى، في جو عدائي صاحب ما بعد نكسة ١٩٦٧. و استمر القلق طوال فترة الصيف، و أخيرا وصل الدعم من اللطيف الخبير، وحصل كل منهما على منحة مكنتهما أن يحصلا معا على درجة الدكتوراه ويعودا لخدمة الوطن.

٢- **السفيرة مشيرة خطاب**: (س١٩٦٥) سفيرة مصر في المجر، وأول سفير لمصر في دولة جنوب أفريقيا، وأول وزير للأسرة والسكان.

٣- **السفيرة سعاد شلبي** (س ١٩٦٩) رئيس الصندوق المصري للتعاون الفني مع أفريقيا، ورئيس المركز الإقليمي لتنمية السلام التابع للأمم المتحدة.

٤- **المحامية منى ذو الفقار** (ق ١٩٦٩) ابنة الممثل اللامع صلاح ذو الفقار والتي غيرت مسارها بعد التخرج لتصبح من أشهر المحامين الدوليين، واختيرت من قبل مجلة "تيم" كإحدى أقوى الشخصيات المؤثرة الصاعدة في العالم.

٥- **الإدارية الناجحة**: ماري إسكندر (ق ١٩٦٦) بنت مصر الجديدة التي أصبحت مساعدًا لرئيس الجامعة الأمريكية بالقاهرة، والمسئولة عن شئون الخريجين وإحدى أنجح الشخصيات في استجلاب المعونات للجامعة، وزيادة الرابطة بين الجامعة والخريجين.

٦- **الموظفة الدولية: منى فؤاد عطية** (ق ١٩٦٦)، والتى حصلت على درجة الدكتوراه من جامعة روتردام بهولنده. ولقد صحبت زوجها أستاذ الاقتصاد الزراعي د. فهمي بشاي إلى أستراليا، وعادا مرة أخرى ليعملا فى هيئتين دوليتين فى روما: منظمة الأغذية والزراعة، والوكالة الدولية للتنمية الزراعية (الإيفاد).

٧- **ودودة بدران**: (س١٩٦٧) ابنة مصر الجديدة التي حصلت على الدكتوراه من كندا، ووصلت إلى منصب وكيل الكلية لشئون الطلاب، ثم مستشار ثقافي مصري في لندن، وأخيرًا أمين عام اتحاد المرأة العربية.

٨- **زينب سليم**: (ح١٩٦٧) بنت طنطا، التي حصلت على الدكتوراه في الإحصاء من الولايات المتحدة، ودرست الإحصاء فى ولاية فرجينيا، ثم عادت لتعمل بالكلية حتى وصلت إلى منصب رئيس قسم الإحصاء ووكيل الكلية لشئون الطلاب، وساهمت بجد في تطوير مناهج الإحصاء وفي ترسيخ قواعد الجودة والاعتماد في جامعة القاهرة وفي جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

٩- **علا الحكيم**: (١٩٦٩) أول مديرة لمعهد التخطيط القومي، وعضو مجلس الشورى.

١٠- **منى البرادعي**: (ق ١٩٦٩) أول عميدة لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ومدير المركز الوطني المصري للتنافسية.

١١- **هبة نصار**: (ق ١٩٧٢) الباحثة الاقتصادية النشطة، وأول نائبة لرئيس جامعة القاهرة.

العصاميون:

إذا كانت هناك حجة للتعليم الجامعي المجاني وأثره على تنمية المجتمع فإن كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في الستينيات تعتبر أفضل مثال لذلك. ولقد مكنت الكلية التي شجعت المتفوقين ليس فقط بالتعليم المجاني ولكن بمكافآت شهرية للعشرة الأوائل من القسمين العلمي والأدبي، وكذلك الحاصلين على مراكز أولى في سنوات النقل، إلى جانب الرعاية الاجتماعية والثقافية والعلمية مكنت أجيالاً متتالية من أبناء الطبقات مستورة الحال وأبناء الأقاليم بأن يشقوا الصفوف ويصلوا إلى مقدمة العمل الاقتصادي والسياسي في المجتمع.

والأمثلة في هذا المجال كثيرة ولا تقبل النقض.

الناشطون:

إذا كان التفوق الجامعي يعتبر مؤشرًا للنجاح العلمي والاجتماعي في كثير من الأحيان، فإن النشاط الثقافي والطلابي، كان مؤشرًا جيدًا لمثل هذا التفوق بالنسبة لطلبة الدفعات الذهبية.

obeikandl.com

ولقد امتازت الكلية بحياة ثقافية واجتماعية وطلابية نشطة كما سبق أن أشرنا عند الحديث حول نظام "الأسر"، وريادة الأساتذة للنشاط العلمي والرياضي والثقافي.

وبمراجعة أسماء الطلبة الذين ساهموا في اتحاد الطلبة وفي نشاط اللجان، نجد كثيرًا من قادة العمل الاقتصادي والسياسي والاجتماعي في المستقبل. وحتى لا ننسى أحد، فسوف نذكر بعض أمثلة لهذه المراكز المتقدمة التي وصل إليها الخريجون.

وزراء وسفراء لامعون، رؤساء لمؤسسات عامة ووكلاء وزارة، متحدث باسم رئاسة الجمهورية، أعضاء بارزون في مجلس الشعب والشورى، رؤساء لصحف قومية وحزبية.

ولقد فسرت د. نادية مكاري هذه الفورة في النشاط الطلابي في الستينيات بغياب الرقابة وعدم تدخل الأمن حيث كانت أمور الجامعة في يدها[1]. وفيما بعد، أدى تدخل الأمن بقوة في شئون الطلبة وفي انتخابات اتحاد الطلبة إلى كبت النشاط الطلابي، وإعطاء الفرصة للمتسلقين والمنتفعين للقفز إلى هذه الأنشطة.

الوافدون:

ساهمت الكلية مساهمة فاعلة في تدريب وتأهيل الطلبة العرب والأجانب منذ نشأتها. وابتداء من العام الرابع لإنشاء الكلية كان عدد الطلاب الوافدين قد تعدى ١٥٠ طالبًا يمثلون حوالي ١٥٪ من إجمالي الطلبة. وفي ذلك الوقت كانت الجامعات المصرية هي الفرصة الوحيدة المتاحة لطلاب الكثير من الطلبة العرب وطلبة العالم الثالث لاستكمال التعليم الجامعي. ومثّل وجود الطلبة العرب والاجانب فائدة متبادلة، حيث ساهم هؤلاء الطلاب في إثراء الحياة وتوسيع آفاق زملائهم المصريين. ونظرًا للطبيعة الخاصة للدراسة في الكلية، واهتمامها بقضايا التنمية والعلاقات الدولية والقضايا العالمية الجارية، كان لوجود هؤلاء الطلبة تأثير إيجابي في مناقشة هذه القضايا والإطلاع على أبعادها الحقيقية.

---

(١) مقابلة تمت في ٢٤/ ٢/ ٢٠١٠.

وهناك نماذج منعشة لهؤلاء الوافدين، الذين ساهموا في حياة الكلية، وساهموا فيما بعد في تنمية بلادهم مستفيدين من خبرتهم وعلاقاتهم في الكلية.

١- **تيسير عبد الجبار**: من الأوائل على دفعة ١٩٦٣ في تخصص الاقتصاد. وهو ابن منطقة رام الله في فلسطين. ولقد عاد إلى الأردن ليتولى فيما بعد وظيفة وزير العمل والشئون الاجتماعية، وكعضو في مجلس الأعيان الأردني.

٢- **أحمد خليفة السويدي**: ابن الإمارات، خريج دفعة ١٩٦٦ س، ولقد تولى فيما بعد منصب وزير خارجية دولة الإمارات العربية عند ميلادها في ١٩٧٢، ومناصب استشارية مهمة، بالقرب من المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان أول رئيس دولة للإمارات المتحدة.

٣- **عبد الجبار هايل سعيد**: قسم الاقتصاد (ق ٦٧) وهو سليل عائلة تجارية مهمة في اليمن ، ويتولى السيد عبد الجبار هايل سعيد منصب المدير التنفيذي للمجموعة في "تعز"، وكان مسئولاً عن توسع عمليات المجموعة؛ لتمتد من ماليزيا إلى المملكة المتحدة.

٤- **جميل باش أغا** (ق٦٥): ابن حلب، الذي بدأ الدراسة في الكلية أثناء الوحدة السياسية بين مصر وسوريا، وعاصر آلام وقلق الانفصال بين شطري الجمهورية العربية المتحدة في سبتمبر ١٩٦١. ولقد واصل "**جميل**" دراسته في القاهرة وعاد إلى سورية عام ١٩٦٥؛ ليعمل في التدريس وفي مؤسسات وزارة الصناعة. وعاد مرة أخرى ليحصل على الدكتوراه في الاقتصاد من الكلية تحت إشراف الدكتور جودة عبد الخالق. وتابع حياته العملية في بلده كرئيس لقسم الاقتصاد في جامعة حلب، وكرئيس لمؤسسة القطن في فترة تصدر القطاع العام الحياة الاقتصادية في سورية.

٥- **سليمان الحربش** (س ٦٦): ابن منطقة القصيم في المملكة العربية السعودية، ولقد جاء إلى مصر في فترة من أسوأ أوقات العلاقات بين مصر والسعودية حيث كانت هناك حرب اليمن، والتنافس بين الاشتراكية العربية والاقتصاد الليبرالي في المنطقة.

ورغم ذلك فقد كانت سنوات دراسته من أحلى أوقات عمره، ولم يشعر سوى بالترحاب والتعاون من الجميع. وبعد أن أنهى السيد سليمان دراسته في العلوم السياسية، عاد إلى المملكة ليشارك في نهضة كبيرة، دفعتها الثروة البترولية وخصوصًا بعد ارتفاع أسعار النفط في أعقاب حرب أكتوبر المجيدة (١٩٧٣). وانضم سيادته بعد ذلك إلى مجلس إدارة منظمة الأوبك في فيينا. ويتولى حاليًا رئاسة صندوق الأوبك للتنمية إحدى أهم هيئات تمويل التنمية من العالم الثالث (الدول المصدرة للبترول) إلى العالم أجمع. وللصندوق عمليات في ١٢٠ دولة.

٦- **حسن بهلول** (ق ٦٥): ابن الجزائر. ولقد تصادف وجوده في الكلية مع السنة الأخيرة من كفاح الجزائر للاستقلال(١٩٦٢)، وتابعنا معه آلام تلك المرحلة وتؤثرها. ولقد أنهى دراسته في قسم الاقتصاد عام ١٩٦٥ وعاد للجزائر المستقلة ليعمل في مجال الصحافة. وساهم بمقالاته في إضاءة مسار التنمية والنهضة.

٧- **فتحي صالح أبو سدره** (ق ٦٥): ابن "بنغازي"، ليبيا. ولقد أمضى "فتحي" معظم طفولته في مصر حيث كان والده المستشار الثقافي الليبي في القاهرة. وعندما عاد إلى ليبيا في منتصف الستينيات كان التحدي الأكبر هو توظيف قدراته العلمية والبحثية في خدمة دولة راكدة. ومع انطلاق ثورة الفاتح من سبتمبر في ليبيا سافر "فتحي" لمواصلة التعليم في الولايات المتحدة، وعاد ليصبح أستاذًا للاقتصاد في جامعة "قار يونس" في بنغازي.

٨- **محمد الشارخ** (ق ٦٥): ابن الكويت. ولقد أنهى دراسته في الاقتصاد عام ١٩٦٥، وعاد إلى الكويت ليعمل كأحد كوادر بنك التنمية الصناعية الكويتي. ثم انطلق إلى القطاع الخاص؛ حيث كان وراء تطوير أول جهاز كمبيوتر عربي تحت مسمى "صخر"، ونجح هذا الكمبيوتر نجاحًا كبيرًا. مع ذلك لم يستطع أن يقف أمام المنافسة الشرسة لشركات "المعلوماتية" الأمريكية، واضطر أن يتخلى عن هذا الحلم ويتجه إلى مجال الأعمال التقليدي من عقار وأوراق مالية، فنال حلوها ومرها.

obeikandi.com

٩- **محمد سليمان عبد القادر** (ق ٦٥): ابن فلسطين، ولقد حصل على مركز متقدم في الكلية، ومع ذلك لم يجد عملاً مناسبًا عندما عاد إلى الأردن عام ١٩٦٥، وانتهى به الحال في إدارة الحسابات في الصندوق الكويتي للتنمية، وبرع في عمله فيه إلى أن جاء الغزو العراقي للكويت، ولم يعد له عيشًا هناك فهاجر لينضم إلى إخوته في الولايات المتحدة.

١٠- **أليكس ليفون مرزيان** (ق ٦٥): Alex Levon Merzayan ابن أرمينيا، ومع ذلك فهو مولود في القاهرة من أبوين أرمينيين، لجئا لمصر في أعقاب الحرب العالمية الأولى. وكان **أليكس** فخورًا بحياته كمصري من الزيتون. ورغم هجرتهم من مصر بعد نكسة ١٩٦٧، فمازال يعيش في سويسرا، على ذكريات مصر وفنانيها. ولم يرى أرمينيًا قط.

obeikandl.com